القناع في (كتاب النبي) لـ(جبران خليل جبران)

أ.م. أميرة محمود عبد الله
جامعة بابل/ كلية الآداب

The Mask in Jubran Kaleel Jubran's (the Book of The Prophet)

Asst. Prof. Ameera Mahmood Abdulla
College of Arts/ University of Babylon

Abstract

The symbolism uses implication in literature and also uses myths mirrors, and masks as an intention to give the literary work depth.

الملخص

إنّ البحث في الأشكال الفنية للعمل الأدبي وعلاقتهُ بمضمون العمل من مهمة النقد الحديث، لاسّيما بعد أن ظهرت المدرسة الرمزية التي لجأت إلى الإيحاء والتلميح مستخدمةً الموسيقى التي ارتبطت بالاستعمال الخاص للغة، إذْ كان من أهدافها نقل العمل الأدبي من إطاره الذاتي إلى الإطار الموضوعي. فظهرت استخدامات الأسطورة والصورة والتراث الشعبي والمرايا والقناع في الأعمال الأدبية، لكي تعطي العمل الأدبي عمقاً تفتقده الأعمال ذات النزعة المباشرة.

ويأتي كتاب (النبي) لجبران خليل جبران لكي يقدم شكلاً فنياً اعتمد بشكل عام الإيحاء والتلميح سواءً أكان ذلك من خلال اللفظة الموحية بدلالاتها وموسيقاها أم من خلال الشخصية الرئيسة وبعض الشخصيات الثانوية التي قد تقترب من شكل القناع، الأمر الذي نحاول في هذا البحث أن نحلّله لنرى مدى نجاح العمل الأدبي في الاعتماد على القناع كشكل فني. ونظراً لصلة القناع بشخصية المؤلف كان لا بد أن ألمّ إلمامةً سريعة بحياة جبران، ثم عرفت بكتاب (النبي) والشهرة التي نالها، لكي نتبين الظروف الموضوعية التي خدمت الكتاب. بعد ذلك تناولت موضوع الكتاب وحددت القناع فيه وما ارتبط به من رموز، ثم بينت وظيفته منتهيةً بالعلاقة بين القناع وشخصية المؤلف. وقد وجدت اكثر من ترجمة لكتاب النبي اعتمدت اثنتين منها: الأولى: ترجمة ميخائيل نعيمة والثانية: ترجمة الدكتور ثروت عكاشة.

ملامح من سيرة جبران خليل جبران

حياته:

ولد جبران خليل جبران ((ليلة السادس من كانون الأول، سنة 1883، في قصبة بشّراي، من أعمال لبنان))[1]، في عائلة مارونية المذهب، غير أنها لم تكن ميالة إلى التعصب، في وقت كانت العصبية على أشدّها بين الموارنة والارثوذكس.

شهد في صغره الخلافات بين والدته ووالده، الذي كان ميالاً إلى الخمر، كما انه عاش شظف الحياة مع والده، حينما كان يرحل معه إلى الجبل. وقد ظهرت ميوله إلى الرسم منذ طفولته[2].

هاجر مع عائلته إلى بوسطن في الولايات المتحدة سنة 1895، وسكنوا الحي الصيني، تاركين رب الأسرة في لبنان[3].

وفي بوسطن يعمل ((أخوه في التجارة كمن سبقوه، وأحلام الغنى والثراء تراوده، وتراود معه أفراد الأسرة جميعاً. ولكن التجارة لا تحقق أحلام الرحيل، فتضطر الأسرة – لكي تجد القوت – إلى كثير من التعب، وتعيش الأم على الدمع والعرق والنصح والدعاء، وتعيش الأختان على أسنان الإبر تنسجان وتبيعان. أما جبران خليل جبران فقد وزع حياته بين الرسم والقراءة ومداعبة القلم بالمحاولات، وفي الرابعة عشرة، دخلت المرأة الأولى حياته من الظلال والخطوط في مرسم فنان. وعلى الرغم من تحذير امه له من التجربة مضى في التجربة إلى قمتها))[4].

عاد إلى لبنان في سنة 1898 ليكمل دراسته في مدرسة الحكمة وفي ((الرابع من نيسان عام 1902))[5] وصل باريس محاولاً أن يدرس الفن غير انه عاد إلى بوسطن مرة أخرى ليجد أسرته قد فتك بها مرض السل، فتموت أخته ثم اخوه

ثم والدته بهذا المرض[6]، ثم كان ((حبه الأول بعد أن خاض التجربة، حباً مزدوجاً عدداً ونوعاً، موزعاً بين حب الروح وحب الجسد، الأولى (ماري هاسكل) صاحبة مدرسة في بوسطن، عشق روحها، ولكنه لم يشعر أن هذا العشق يملأ حياته كلها، ويمده بمختلف أهواء نفسه، والثانية (ميشلين) معلمة في المدرسة التي كانت تملكها (ماري) ارتبط بها ارتباطاً عاطفياً عنيفاً، عوضّهُ عمّا أحسّه من نقص في حبّه الروحي والفكري الشفاف مع (ماري) وكان للحبين معاً أثرهما فيه))[7]. ويبدو أن جبران لم يكن في علاقته مع (ماري) محدداً بالارتباط الروحي والفكري فحسب، ففي احدى الزيارات لماري قال: ((ان في كل أنسان ثلاثة مراكز، هي الراس والقلب والجنس، وان هذا أو ذاك منها يتحكم في كل أنسان. أما في حالي أنا، فان الراس والقلب قد تحكما فيَّ حتى سنوات قليلة خلت – بعد ذلك تحكم الجنس – وعندما أقول الجنس ((اقصد الجنس معك)) ثم عاد الراس والقلب إلى الحكم وأريدك أن تساعديني في ذلك))[8].

وقد كان لماري دور في حياة جبران، فساعدته على السفر إلى باريس مرة أخرى ليدرس الفن، وعلى نفقتها، وحتى عندما عاد وأخذت أموره المالية تتحسن لم تقطع نفقتها، كما أنها شجعته على الكتابة باللغة الإنكليزية، بل إنها كانت تساهم في ذلك من خلال تصحيح تعبيره بهذه اللغة، وفي فرنسا تأثر بإنتاج (وليم بليك) ومن ثم بنيتشه[9] ((وفي كتابه العواصف نجد أن المرارة في نفس جبران قد بلغت قمتها تشاؤماً وكآبةً، ولكن ما يكاد يستريح، ويعرف طعم النعمة وينتزع من المجتمع اعترافاً به، ..... ، حتى يسلك سبيلاً أخرى، ..... ، وينقلب المتمرد ..... إلى مؤمن عميق الإيمان، متجرد من الارتباطات الدنيوية متسامٍ إلى صوفيةٍ غريبةٍ، تظهر في كتابه (النبي) وهو يعالج العلاقات الإنسانية بين الناس))[10]، ويبدو أن جبران ((كان يدعو إلى القناعة والى التجرد، وكان يحطم في الناس روح الطمع، وحب السيطرة، ونوازع التملك، ولم يكن هو نفسه قنوعا ولا زاهداً، ولا عزوفاً، إلا عن اضطرار. فلما كانت هذه التجربة، عاش فريسة ما يذيعه على الناس من رأي وما يدّخره في نفسه من شعور بالحرمان))[11].

ويمرض جبران ويموت في عام 1931 مصاباً بتحجر في الكبد مع بداية سلٍ في احدى الرئتين))[12].

تعريف بكتاب (النبي)

تاريخه

صدر كتاب النبي في خريف سنة 1923[13]، ولكن قصة الكتاب في نفس جبران ترجع إلى أمد بعيد، ((في نبذة من [مذكرات ماري هاسكل] لحزيران 1912 نقرأ اليوم كتب جبران خليل السطر الأول أو الفكرة الأولى بالأحرى، لإله الجزيرة، وتقول ماري موضحة في الهامش: (المصطفى في النبي))[14]. وعلى الرغم من أن جبران ((قد وضع السطر الأول في (النبي) في ذلك العام المبكر 1912، فانه كان قد فكر فيه منذ وقت سابق بزمن طويل. يروي لماري في عام 1919 انه عثر قبل أيام على قطعة شعرية كان قد كتبها وله في العمر ستة عشر عاماً، هي الجنين الذي أضحى الآن (النبي). ووصف لها فحواها: جمع من الناس في نزل – يتحدثون عن أشياء كثيرة مختلفة – واحد منهم بشكل خاص يختلف مع الباقين – ويعطي فلسفته عن الطعام وعن الأشياء المختلفة ثم ينصرفون ويتفرقون وألبثَ أنا مع الرجل كيما استدرجه لإبداء آرائه ونخرج ونتمشى في الحقول – ونقابل جمعاً من الفلاحين – ويدلي لهم بمواعظ صغيره . ترين أن الفكرة التي عندي الأن في (النبي) موجودة هناك. ويقول لها في العام ذاته: إنه صرف سنّي حياته السبع والثلاثين جميعها ليضع ذلك الكتاب))[15] ولعل هذا ماحدا بالدكتور ثروت عكاشة أن يقول: بان جبران قد كتب النبي أولاً بالعربية ثم تركه جانباً بعد أن رأت أمه المرهفة الحس انه سابقٌ لأوانهِ وبعد سنوات خمس تَحرّق رغبة لإعادةِ صياغتهِ، غير أنه لم يكد يفرغ منه حتى انبعث في سمعه صوت أمهِ التي كان الموت قد اختطفها فمزقهُ لكن نفسه لن تصبر على طيِّ كتابه في صدره فكتبه ثالثةً ولم يقتنع هو به فمزقه من جديد.

وبعد عشر سنوات من كتابته الأولى اخذ يكتبه باللغة الإنكليزية دون استئناس بالنص العربي. ((ولم يعد جبران صياغته بالعربية كما لم يترجم نصّهُ إلى العربية))[16].

شهرة كتاب النبي:

لقد نال الكتاب شهرة واسعة حتى بلغ عدد النسخ التي بيعت من سنة 1923 إلى سنة 1956 ما يقرب الثمانمائة الف نسخة وترجم إلى عشرين لغة حية أو نحو ذلك[17].

ولعل السر في رواج الكتاب ما فيه من حيوية وجمال، أما الحيوية فيستمدها من جوهر الشؤون البشرية التي يعالجها لأنها تتصل مباشرة بكل إنسان، وأما الجمال فيتدفق عليك تدفقاً من قلم جبران وريشته، وفن حماسته وإخلاصه لفنهِ، ومن عميق إنسانيته ومن وثيق إيمانه بصدق ما يتخيلهُ ويقوله.

لقد كان رواج (النبي) في خلال الحرب الأخيرة اعظم منه في أي وقت آخر، ومردُ ذلك إلى أنّ ((الناس اذا نزلت بهمّ الشدائد والمحن، مالوا عن الهزل إلى الجد، وعن العبث إلى التأمل، وعن المادة إلى الروح، فزاد أقبالهم على الكتب التي فيها شيء من التعزية لقلوبهم الجريحة وأفكارهم التائهة، وفي (النبي) الكثير من التعزية للبائس والقانط والحائر والمعدم والمظلوم والمجرم والموجع، وللذي يرهب الموت ويحسبه آفة الآفات ونهاية النهايات))[18].

وقد لاحظ أصحاب دور النشر ((أنه ما يكاد يموت إنسان حتى يتهافت العشرات من أقاربه وأصدقائهِ على اقتناء كتاب النبي بحثاً عن السلوى والعزاء. كما أنَّ كثرة الشباب يشترون الكتاب ليقتبسوا من رقة أسلوبه ما يمسُ قلوب النساء ويستهويهنَّ))[19].

وقد أوردت مجلة (سفنتين) التي قالت بشعبية الكتاب، فقرة من رسالة فتاة تعد شاهداً على ما تستشعره الكثرة من الفتيات عند قراءة (النبي) تقول فيها: ما اندر هذا الكتاب الفريد، وما اقدره على تبديد الاحزان التي تجثم على القلوب، ومنح الأرواح المكدودة فرصة الراحة والإشراق))[20].

ويبدو لي إن جبران كان سلبياً في كتابه هذا، ففي الوقت الذي انكر العلاقات المادية في المجتمع الأمريكي وحاول أن يقدم البديل، جاء بديلهُ دعوة تأملية في الحياة دون أن ((يقدم حلاً حاسماً لمشاكل الواقع اليومي من حوله))[21]، وهذا ما دعا خليل حاوي إلى القول: ((بأن جبران لم يكن في مستوى المسؤولية الاجتماعية التي حاول حملها ... وبأن كتابه لم يمس الأوساط الأدبية الكبرى وإن حقّق لهُ شهرةً شعبية نادرة))[22].

موضوع الكتاب:

ضم كتاب (النبي) خمساً وعشرين موعظة، ابتدأها بموعظة المحبة وأنهاها بموعظة الوداع، وهذه المواعظ تمثل رأي جبران بالحياة من خلال مفهومه لعلاقات الإنسان بأخيه الإنسان وقد جعل جبران المحبة (بصورة خاصة فكرة رئيسية تصدر عنها الأفكار المختلفة .... فهو يطلب من الناس أن يتبعوا المحبة مهما كانت مسالكها .... وعندما يحب الأنسان يصبح في قلب الله، أي يتحد بالله ويصبح شيئاً واحداً))[23]، ويقول: جبران نفسه عن موضوع الكتاب ((أنا فيه أتحدث عن علاقة الإنسان بالإنسان))[24].

وفي النبي كما قال نعيمة: ((اشرف جبران بخياله على الحياة فرأى جوهرها واحداً وهو المحبة، ورأى الناس شركاء أسواء في جوهرها لا يتميز واحدهم عن الأخر إلا بقدر ما ادرك الواحد ذلك الجوهر وجهله الآخر. وهذا الجوهر يذيع ذاته لكل الناس على السواء))[25].

فالعمل عند جبران يرتبط بالمحبة ارتباطاً عضوياً إذ يقول جبران في موعظة العمل: ((وانتم، إذ تحيون بالعمل، تعبرون عن حبكم للحياة، ومن احب الحياة بالعمل فقد وقف على أعمق سرٍّ من أسرارها))[26]، والمحبة تتشعب منها جميع الأفكار الأخرى في الكتاب والجرائم والعقوبات مثلاً شديدة الصلة بالمحبة، إذ إن المحبة ((بعد أن تضع الإنسان في قلب الله كيف له أن يُدَين أثيماً بإثمه، أفي الله أثم؟ .....))[27]، وفي ذلك يقول جبران ((إنما تذهبون إلى الغير، وبالتالي إلى أنفسكم عندما تنطلق أرواحكم هائمة مع الريح دونها حارس أو رفيق))[28] ولو ذهبنا إلى تحليل أية موعظة في الكتاب لرأينا فكرة المحبة هي المحور الذي يربط أفكار المواعظ كلها.

ولعل من المفيد أن نذكر بأن جبران قد وضع ((لكتابه النبي اثني عشر رسماً، عشر منها بالأدهان المائية واثنان بالرصاص وهما رسم المصطفى في أول الكتاب واليد المبدعة في آخره))[29]، وربما أَحسَّ جبران بان قلمه لم يعبر التعبير الكافي عن خياله وأفكاره فلجأ إلى الريشة والألوان لكي يتمم تجربته الشعورية.

القناع في كتاب (النبي)

لقد خلق جبران رجلاً دعاه (المصطفى) وجعل روحه نيرة إلى حد أن سامعيه كانوا يخاطبونه (يا نبي الله) .... (وقد ابرز مصطفاه) رجلاً غريباً في مدينة اسمها اورفليس صرف فيها اثنتي عشرة سنة في انتظار سفينته التي كانت قادمة لتعود به إلى الجزيرة التي هي مسقط راسه ثم صعد به أكمةً خارج المدينة حيث يبصر سفينته مقبلةً في الضباب. فيفتح لك قلبه ويريك ما يتمايل فيه من العواطف المتضاربة بين لذة الإنعتاق من الغربة والم الوداع، فتفهم إلى أيّ حد أحب مدينة غربته وأهلها وإلى أي حدٍ أحبوه . ومن بعد ذلك يهبط به المدينة، وإذ يبصره أهلها ويدركون انه مودع يتركون كل أعمالهم ويتقاطرون إليه ويلحّون عليه بالبقاء بينهم، فلا يجيبهم إلا بالصمت والدموع، وأخيراً يسير وإياهم إلى الساحة الكبيرة أمام الهيكل، وهناك تخرج رائيّه (عرافه) اسمها (الميترا) فيرمقها المصطفى بحنان كلي لأنها كانت أسبق الناس إلى إكتشافه والإيمان به حين لم يكن قد مر عليه في مدينتهم إلا يوم واحد.

الميترا هذه تدرك أن لامردّ لعزم المصطفى، لأنها تعرف عظم شوقه إلى أرض ذكرياته ومسكن أمانيه الكبرى فتطلب اليه أن يحدثهم قبل الوداع عن انفسهم وعمّا عرفه بالوحي من كل ما هو بين الولادة والموت، بادئة بالحب أو المحبة، وهكذا تفتح المجال فسيحاً للمصطفى ليكشف لسامعيه علائقهم بعضهم مع بعض ومع الحياة لا كما يرونها بأعينهم المقنعة بالأوهام، بل كما يراها هو بعين روحه الصافية في عالم الروح الصافي، فيمضي في حديثه الطلي ولا ينتهي من علاقة حتى يسأله بعض السامعين أن يحدثهم في أخرى .....(ثم) يودّعهم وداعاً مؤثراً وينصرف عنهم إلى بلاده))[30].

من خلال الاطلاع على سيرة جبران وحياته نستطيع أن نقول: بأن المصطفى هو القناع الذي اتخذه جبران لكي يعبر من خلاله عن أفكاره وأشواقه. وهذا القالب الفني دعا ميخائيل نعيمه إلى أن يعدّ جبران قد استعاره من نيتشه وزرادشت وأجرى مقارنة بين الاثنين[31]، وذهب بعضهم إلى أن القالب النيتشوي نفسه مستمد من جو الإنجيل[32]، وهذا لا يمنع أن يكون جبران قد تأثر بالاثنين معاً. لاسيما أننا قد عرفنا مدى تأثره بأفكار نيتشه في (العواصف)، فما المانع من استعارته الشكل منه في (النبي)؟ وأما من حيث تأثره بالإنجيل فقد ظهر هذ التأثر أيضاً في كتابهِ (عيسى ابن الإنسان) إذ احتفظ بالقالب القديم ولكنه أبدع في الصورة التي أرادها لهُ. ولو تتبعنا تسلسل بعض كتبه الأخيرة، نجد أن كتاب (النبي) قد سبق بكتاب (السابق) والسابق هو اللقب الذي يعرف به يوحنا المعمدان عند المسيحيين لأنهُ سبق المسيح ومهد لمجيئهِ وجبران باختياره ذلك الاسم، إنما شاء أن يجعل من كتابه ... (السابق) ممهداً لكتابهِ .... النبي))[33]، ولا يخفى على المتأمل في هذا الربط ما فيه من تأثر جبران بالإنجيل.

ومن جهة أخرى تجدر الإشارة إلى أن (المصطفى) كاسم مختار لقناع جبران لا يذهب بنا إلى الظن انه مستعار للدلالة على النبي محمد (ص). إذ إنّ جبران قد بعث رسالة إلى ميخائيل نعيمه في أواخر صيف سنة 1921منها: ((ما الفرق بين القائل: من ضربك على خدك الأيمن حوّل له الأيسر كذلك وبين القائل: عين بعينٍ وسنٌّ بسنٍ إلا الفرق بين من أدرك أن كل (أنا) منبثقة من (أنا) الشاملة. فهي شاملة مثلها. فالضارب والمضروب فيها واحد. وبين من حصر (أنا) ضمن مصيرهُ من الأوهام فراح يثأر لها من كل مُتعدٍّ عليها جاهلاً انهُ المتعدي والمتعدّى عليه، وأَنهُ يثأر من ذاته لذاته))[34]، ولا يخفى على المتأمل العلاقة بين مضمون هذه الرسالة وبين مضمون موعظة الجرائم والعقوبات في (النبي) ولعله اختار (المصطفى) كاسم يدل على معنى المختار من البشر ليس إلا.

وبعد ... فكما كان المسيح فاعلاً في مجتمع بني إسرائيل المادي حاول جبران من خلال قناعه (المصطفى) أن يكون فاعلاً بأفكاره في مجتمع اورفليس.

وما اورفليس سوى أمريكا التي عاش فيها الغربة، وسط العلاقات المادية ومن جهة أخرى نجد أن جبران ((يذكر لماري في 1921 ... أن اسم مدينة اورفليس فيه جذر من اورفيوس))[35]، واذا عرفنا أن اورفيوس في الأسطورة الإغريقية موسيقى تبع زوجته يوري دي إلى مثوى الأموات (العالم السفلي) فأجاز لهُ بلوتو (اله الجحيم) وقد سحر بألحانهِ ان يخرجها من ذلك المثوى بشرط ألاّ ينظر إلى الوراء ولكنه فعل في اللحظة الأخيرة ففقدها، أمكننا القول بان جبران يريد أن يشير من خلال هذا الرمز إلى أن الإنسان عن طريق الاهتمام بروحه وتغذيتها بالموسيقى مثلاً[36]، يستطيع أن يتصل بعالم الروح الرحب. ولكنّ انجذاب الإنسان إلى عالم الجسد المتمثل بنظر اورفيوس إلى زوجته يفقدهُ هذه الصلة.

هذا ويمكننا القول: بأنَّ الغربة التي عاناها المصطفى في اورفليس هي ((غربة الروح عن ربها أثناء دورتها الأرضية))[37]، والعودة إلى الجزيرة هي العودة إلى لبنان إذ يمكنها أن ترمز إلى عودة الروح ((إلى مصدر الحياة الأسمى))[38].

أما وعد المصطفى لأهل أورفليس بالعودة اليهم حين يقول لهم: ((لا يغربنَّ عن بالكم اني سأعود اليكم. هنيهةً بعد، ويعود حنيني فيجمع الطين والزبد لأجل جسدٍ آخر. هنيهة بعد – لمحة استراحة على الريح وتلدني إمرأة أخرى))[39]، يبدو أن هذا الوعد يشير إلى ((إيمانه بعقيدة التناسخ القائلة بان الموتى الذين لم ينهوا دورة الحياة الكاملة، يعودون حتماً إلى الأرض ليجددوا عليها ويكملوا العلائق التي تركوها عند موتهم))[40].

أما (الميترا) التي خرجت من الهيكل بشخصية العرافة فيقول عنها جبران: ((إن اسم الميترا فيه جذر من لفظ (ميتراس) الذي يعود إلى ديانة قديمة غامضة))[41]، فهي ماري هاسكل التي تمثل بالنسبة لجبران منبع الهامه وفنّه إذ يقول عنها في أكثر من مناسبة ((إنكِ أنتِ أعطيتني هذه اليد ... وإنكِ تجعلين تفكيري أدفأ وأصفى، أنت تنيرين لي أبهى الأصقاع فيَّ ... ليالي الخلق التي عرفناها معاً جعلتني واعياً لله ... انك تعرفين النفس وهي تجتاز طور الحمل وطور الولادة ... لم يكن بوسع احد أن يكتب (النبي) بدونك أنت))[42]، فماري إذن أصبح لها هذا الامتداد في عالم الروح والدين، الذي كان له التأثير الفاعل في فنِ جبران.

وظيفة القناع في (النبي):

وظّف جبران القناع المتمثل بـ(المصطفى) للكشف عن أفكاره ومفاهيمه، وقد كان القناع ملائماً لطبيعة الأفكار التي أراد أن يعبر عنها جبران، إذ إنها أفكار متأثرة بقراءاته للكتب الدينية ((الهندية والمسيحية وخاصة التوراة والإنجيل وكذلك كتب المتصوفة المسلمين وخاصة ابن الفارض ... و... الغزالي وابن عربي والحلاّج هذه الكتب التي نرى فيها جميعها أسلوب النبي الذي يعظ بالموجز من روائع الكلم، ويجنح إلى الحكمة التي تنطوي على مغزى نبيل أو تنمُّ عن سرٍّ جيل))[43].

العلاقة بين القناع (المصطفى) وشخصية جبران:

من خلال دراستنا للقناع في كتاب (النبي) تبين أنهُ في إطاره العام يمثل حياة جبران في أمريكا غير أنَّ المُثل التي عرضها المصطفى – والتي تمثلُ جبران – هل كان جبران يعيشها حقاً؟

ندع جبران نفسه يجيب فيقول في رسالة إلى ماري هاسكل عام 1920 ((غير اني قد سجلت في (النبي) مُثُلاً معينةً وارغب في أن أعيش هذه المثل. فما يهمني ليس ان اكتبها: فمجرد كتابتها يبدو لي أمراً كاذباً. إني لا استطيع أن أتقبلها إلا عن طريق عيشي لها))[44]، وثمة أمرٌ آخر يسلط الضوء على هذه العلاقة وهو ما رواه صديقه ميخائيل نعيمة من ((انهما كانا يوماً سائرين في قلب طبيعة فاتنةٍ تبدت روعتها في وضوحها فلم تدار أسرارها عن العيون والأبصار. وبينما هما مأخوذان بما حولها من فتنة وصراحة ووضوح، اذا جبران يتوقف فجأة وينادي صديقهُ وكان اقرب ما يكون إلى نفسه والى ضعفه أيضاً – قال: اني نذير زائفٌ ياميشا))[45]، وهكذا كان يناديه وكان جبران أيامها يختزن في نفسه كتاب النبي وما يحوي هذا الكتاب من مادة (بل انه قد قرأ لميخائيل الموعظة الأولى من الكتاب في تلك الرحلة) وكأنما استعاد (جبران) ما يختزنه وينوي أن يقدمه للناس فاستكثر أن يحمل هذه الرسالة الضخمة إلى العالم، وان يجعل من نفسه معلّماً يصحح

الأخطاء ويمهد طريق المعرفة، فثار على نفسه وعلى غروره وهو أعلم بما يختزنه من ضعف وتنطوي عليه نفسه من خطأ، فكانت وقفته التي كشف فيها عن حقيقة نفسه بشجاعة، بعد أنْ هاله أن يعيش في تناقض بين خطاياه وتعاليمه التي ينوي أن يطالع بها الناس.

ولا شك أن (المصطفى) هو المثال الذي يريد أن يكونه جبران، ولكنه لم يستطع ذلك في واقع حياته. ما ألجأه إلى كثير من المبالغات والادعاءات غير الواقعية سواءً أكان منها ما يتعلق بنشأته وأسرته أم كان مايتعلق بتطبيق فكرة التناسخ على حياته هو، ويمكن أن تجد ذلك في عديد من رسائله إلى ماري هاسكل[46].

الخاتمة والنتائج

لقد توصل البحث إلى مايأتي:

1. لقد استطاع جبران عبر قناعه (المصطفى) أن يعبر عن أفكاره تجاه الإنسان وعلاقته بالآخرين، وجاء إختياره للمصطفى ملائماً لطبيعة الأفكار، وان كان جبران نفسه يعيش حالة من التناقض بين أفكاره وحياته اليومية في كثيرٍ من مجالاتها، ومع إنه كان يسعى إلى أن يجسد هذه الأفكار في واقع حياته، غير انه لم يفلح في ذلك، إذ بقي المثال منفصلاً عن ذاته ولكنه حقّقه في أعماله الأدبية والفنية.
2. ولا بد أن نشير إلى أنَّ جبران ممّن سبق غيره من الكتاب العرب في هذا الاستخدام الفني لكن النقاد لم ينتبهوا إلى هذا الأمر، لأنهم كما يبدو لي كانوا يركّزون على القناع في الشعر دون الأجناس الأدبية الأخرى.

الهوامش:

1. جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنه/ ميخائيل نعيمة/24.
2. ينظر: المصدر نفسه/26، 35.
3. ينظر: المصدر نفسه/36، 38.
4. مقدمة (النبي)/ثروت عكاشة 9-10 .
5. نعيمه/55.
6. عكاشه/ 11.
7. المصدر نفسه/12.
8. أضواء جديدة على جبران/ توفيق الصايغ/83.
9. عكاشة/ 16، 18.
10. المصدر نفسه 18.
11. م. ن/ 12،13 .
12. ينظر: كتاب نعيمه:17.
13. نعيمه:223 .
14. الصايغ: 227 .
15. م. ن: 227-228 .
16. عكاشة:23-24 .
17. ينظر مقدمة ميخائيل نعيمه في كتاب النبي (8).
18. م.ن:8-9.
19. عكاشه:36.
20. عكاشه:36.
21. المصدر نفسه: 35.

22. المصدر نفسه: 35.
23. بين نعيمه وجبران: طنسي زكا: 25.
24. نعيمه:238، ينظر: الصايغ:229 .
25. م.ن:218.
26. النبي – ترجمه نعيمة:36 .
27. زكّا: 28
28. النبي: ترجمة نعيمه: 49 .
29. نعيمه: 15.
30. م.ن:214–215.
31. المصدر نفسه: 215–216.
32. زكا: 198–199 .
33. مقدمة نعيمه لكتاب النبي: 7.
34. نعيمه: 203–204.
35. الصائغ: 228.
36. المصدر نفسه: 210 و211 لمعرفة مدى الصلة بين جبران والموسيقى العالمية والعربية.
37. نعيمه: 216 .
38. نعيمه: 216 .
39. كتاب النبي/ ترجمة نعيمه:106.
40. نعيمه: 216 .
41. الصايغ: 228 .
42. م. ن: 33 .
43. عكاشة: 34 .
44. الصايغ: 228 .
45. عكاشة: 20 وينظر : نعيمه194–195 .
46. ينظر: الصايغ: 45–48 .

المراجع:

47. جبران (جبران خليل جبران): المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران المعربة عن الإنكليزية، تعريب انطوينوس بشير، دار صادر، بيروت، 1964.
48. جبران (جبران خليل جبران): النبي، ترجمة ثروت عكاشة، ط2، دار المعارف، القاهرة.
49. جبران (جبران خليل جبران): النبي، ترجمة ميخائيل نعيمه، مؤسسة بيروت.
50. زكّا (طنسي زكّا): بين نعيمه وجبران، ط2، مكتبة المعارف، بيروت.
51. صايغ (توفيق صايغ): أضواء جديدة على جبران، الدار الشرقية للطباعة والنشر، بيروت، 1966.
52. نعيمه (ميخائيل نعيمه): جبران خليل جبران، حياته، موته، أدبه، فنه، مؤسسة نوفل – ط9، بيروت، 1981.